إحيـــــاء

مروة مدحت

وسط شموخ وعِظَم المباني حولها، تبقى تلك الفيلا العتيقة ، ذات الطوابق الثلاث، لها هيبتها وقوتها .

رغم بساطتها، إلا أنها تُبهر من تقع عينه عليها.

تلك الطلة القوية المسيطرة على ضفة النيل، والمباني الحديثة حولها توجتها من كل جانب.

تساءلت كثيرًا عن سرها، عمرها، لما هي باقية ومهجورة حتى يومنا هذا؟!

رغم آثار الزمن عليها، والنوافذ المحطم غالبيتها، إلا أن بها سحر عجيب، لا أدري لما تسرق قلبي كلما وقعت عيني عليها؟!

حين سألت، تعجب الناس اهتمامي بها، أخبرني أحدهم أنها تحوي سرًا، الجميع يعرفه، لكنهم يرفضون البوح به!

إلا من همسات بين الحين والآخر، أو حينما يأتي شخص جديد يسأل عنها ليشتريها ويهدمها كما العادة، وحين يعلم سرها؛ يرحل.

لكن الكل رفضوا الافصاح وتهربوا مني، وتعجبت كثيرًا للأمر!

فكرت مرارًا في زيارتها، لكن لم أر مدخل من بعيد، فهي محاطة من جميع الجهات، محاصرة بالمباني الشاهقة، وكأنهم تواطئوا جميعًا لإخفائها، لا تُرى إلا من جهة النهر، لكن لا تستطيع الوصول لها منه أيضًا.

obeikandl.com

قررت اقتحامها بأي شكل، حاولت مرات عديدة الاقتراب حتى سنحت لي فرصة ووجدت ممر ضيق جدًا، و رغم صغر حجمي، إلا أني مررت ملاصقة للحائط، نهايته وجدت سور قصير، عبرته، لأصبح أمام بوابتها الخشبية، المهشم جزء قليل من زجاجها.

أُدير مقبض الباب، لا يُفتح ، أُدخل يدي بصعوبة وحرص من الجزء المحطم محاولةً فتحه من الداخل .

فُتِح وعلى مصراعيه ولم يصدر صوتا!

أقف على عتبة المكان ، أشعة الشمس تغمر أغلبه، جدران قديمة، حزينة، محتفظة نوعًا ما بقشرة طلائها وزخارفها.

بعض المقاعد القديمة المحطمة متناثرة في أرجاء الردهة، نافذتان لكل جانب، أغلبها محطم.

رائحة مياه النهر تملؤها، تشوبها رائحة عطرة لا أدري مصدرها؟!

تعجبت! كم عام مضت عليها إذن!

أشعر بالجدران تنطق، أو كأنها تود الحديث،

شعرت بنسمة هواء باردة، رغم أننا في منتصف أغسطس، شعرت معها ببردٍ شديد.

اتجهت لمقعد رأيته صالح للجلوس، وفي الوسط تمامًا، جلست منصتة لهمسات خفيضة.

وكأن تيار كهرومغناطيسي مرئي يسري في الأجواء، الجدران تتبدل ملامحها، تعود لزمن بعيد، لقرنٍ مضى.

الأثاث يعود لسيرته الأولى، والأضواء سطعت أكثر،وكأني عدت بالزمن لعصرها، حينما كانت على حالها الأول!

تمسكت بالمقعد محاولة استيعاب ما يحدث حولي، لربما أعي ما يدور!

الرائحة العطرة زادت حدتها ..

جمع غفير من النساء والرجال يظهر من العدم، وكأن ذاك التيار أعادهم للحياة، أو أنه رفع حجاب كان يمنع عيني من الرؤية!

الكل يرقص ويضحك على عزف فرقة موسيقية تجلس في الركن البعيد هناك، يمرون من خلالي وكأن لا وجود لي وليس لهم !

الزينات والزخارف واللوحات الجدارية تغطي الجدران، يبدو حفل عظيم ليومٍ عظيم!

قليلًا ، وانطلقت الأبواق معلنة عن حضور شخصية هامة، اتجهت بنظري تجاه أنظار الجميع، التي تحولت لما هو خلفي، للمدخل الذي تحول هو الأخر لأجمل وأفخم أنواع الخشب المحفورة و زجاجه الملون.

في البداية ظننتهم قد انتبهوا لي، لم يكن ذلك كانت هي! وشهقت!

إنها تشبهني كثيرًا أو ربما أنا من أشبهها، لا أدري!

الآن، ارتعشت أوصالي، أقف لأتأكد مما أرى،

كانت في كامل زينتها، عروس تُزف لعريسها، في فستان أبيض رقيق مرصع بالجواهر الدقيقة وتاج صغير يزين شعرها المصفف بعناية، تتأبط ذراع شاب في غاية الأناقة والوسامة في حلته البيضاء المنمقة، الفرحة تغمرهم، والكل سعيد.

تقدم رجل كبير في السن يرحب بهما، فتركها الشاب له توقيرًا.

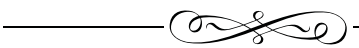

يبدو والدها! ربما!

تعلقت بذراعه وتقدما، يجاورهما الشاب داخل القاعة في ترحيب وتهليل من الحضور.

أقف في طريقهم مشدوهة مما أراه أمامي، أ يسيرون من خلالي أيضًا كما كان من الباقين؟!

لكن، مهلا ...

إنها تنظر لي، تبتسم لي فعلًا! أم أنني أتوهم؟!

أتلفت حولي، الكل ينظر نحوي، أم نحوها؟!

أعود بالنظر لها، العجوز، هو أيضًا ينظر لي وو..يبتسم !

الشاب أيضا سعيد وفرح، وهي تتقدم معهم في اتجاهي، تقترب مني أكثر!

تلمع عيناها بنظرة غريبة لا أفهمها!

هل يراني الجميع فعلًا، أم ماذا؟!

تتقدم أكثر، أتراجع خطوة و أتسمر مكاني، إنها ..... إنها ....

لم تعبر من خلالي ، لاااااااااا

إنها تندمج بي، التصق، أتوحد، لا دعيني، أخرجي عني، أو أخرج عنكِ !!لاااااااا..

ماذا حدث لي؟! إني .. إني ... هي!

-امتزجنا، أشعر بها، وليس بي، صرت حبيسة جسدها، لا وجود لجسدي، التيار الكهرومغناطيسي أذابنا معا، لنصبح هي!

-اااااااااه

-" أخيرا عزيزتي، يمكننا إتمام الزفاف الآن، كم انتظرت طويلًا عودتك لنا"، العجوز يبتسم.

يسقط المقعد وسط الردهة الفسيحة، يتسلل ضوء القمر من النوافذ المحطمة، يسود الصمت بالفيلا المهجورة على ضفاف نهر النيل.

"عن فيلا حقيقية تقع على شاطيء نهر النيل بأحد الأحياء القديمة"

opeikandl.com